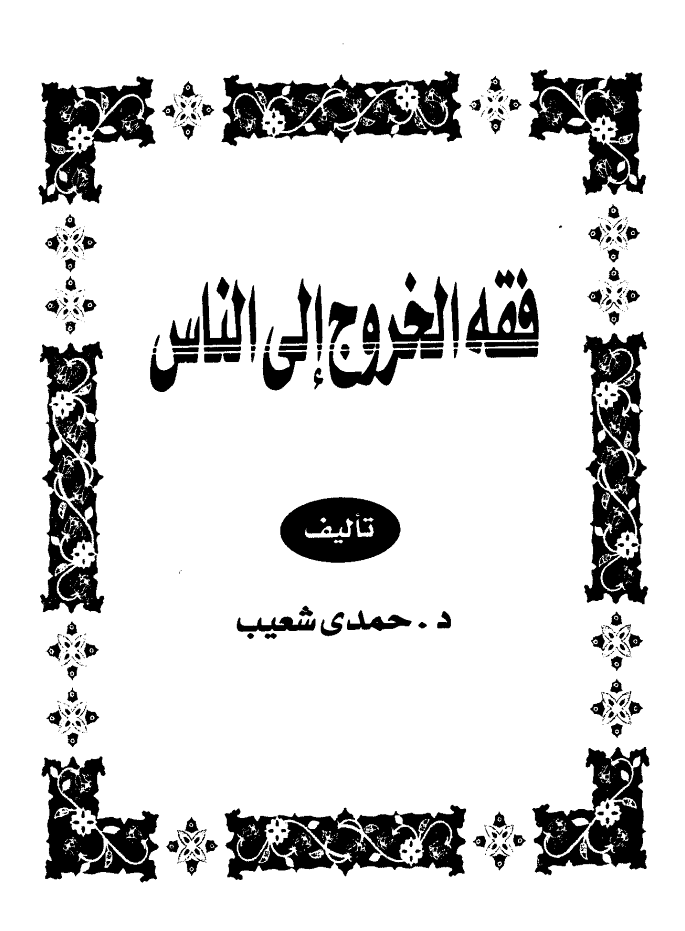


فقه الخروج إلى الناس

تأليف

د . حمدى شعيب



الموضـــوع : إحياء فقه الدعوة .

إسم الكتـــاب : فقه الخروج إلى الناس .

التـــأليف : د . حمدى شعيب .

الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .

عـدد الصفحات : ٦٤ صفحة .

قياس الصفحة : ١٤ × ٢١

عـدد النسخ : ٢٠٠٠ نسخة (طبعة أولى)

التوزيع والنشر : دار البشير للثقافة والعلوم .

طنطا ـ 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين

تليفاكس3305538/040ـ 3321744/040

تليفون 3316316/040

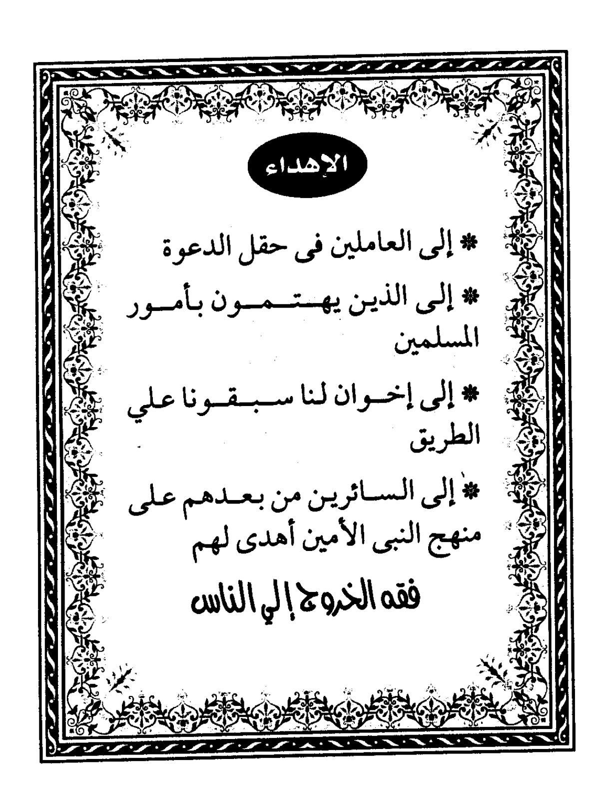
الإيداع القانونى : 2003/3241

الترقيم الدولى : I. S. B. N . 977 - 278 - 236- 8

Web Site : www . Dar elbasheer.com.eg

E-mail / Dar-elbasheer@hotmail.com
Dar-albasheer@maktoob.com

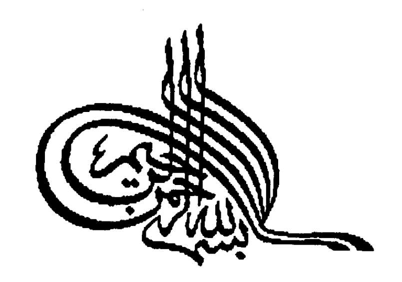
2003 م
1424 هـ



الإهداء

* إلى العاملين فى حقل الدعوة
* إلى الذين يهتـمـون بأمـور المسلمين
* إلى إخـوان لنا سـبـقـونا علي الطريق
* إلى السائرين من بعدهم على منهج النبى الأمين أهدى لهم

فقه الخروج إلي الناس



فقه الخروج إلي الناس

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (1) .

لقد كانت لمحة قرآنية رائعة ، أن أوردت فى سياق قصة أصحاب القرية ، هذا الموقف العظيم ، لهذا الرجل المؤمن الذى جاء من أقصى المدينة ، أى مكان ليس بالقريب ، وكذلك كان يسعى ، أى يسرع فى مشيته ، وهو ما يبين مدى الجهد الذى بذله للوصول إلى مسرح الأحداث ، وهو المكان الذى كان يبتلى فيه الرسل الذين أرسلهم الحق سبحانه ، إلى قومه ، وهم أصحاب القرية الذين كذبوا هؤلاء الدعاة ، وعارضوهم ، وهددوهم .

وكذلك يبين مدى تفاعله مع قضية هؤلاء الرسل .

لقد كانت مبادرة منه لم يحدها مكان ولا زمان ولا وقت ، بل سعى ووصل فى الوقت والمكان المناسبين ، وعرض رأيه فى القضية ، وانتصر لهؤلاء الرسل ضد رغبة قومه .

وهو نفس الموقف الذى أورده القرآن الكريم فى سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه ، حول الوقفة العظيمة لمؤمن

---

(1) يس : 20 .

آل فرعون : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (1) .

وهى اللمحة القرآنية التربوية الطيبة التى تهمنا فى قضيتنا أو موضوعنا ، فى سياق هاتين القصتين ، والتى نستشف منها هاتين النقطتين العظيمتين :

النقطة الأولي : أن هؤلاء الدعاة الربانيين سواء الرسل الذين أرسلهم الحق سبحانه إلى أصحاب القرية ، أو موسى عليه السلام قد نجحوا فى عرض قضيتهم ، فاستعصت على محاولات التحجيم والتغييب ، وكسرت طوق التعتيم والتجهيل والعزل ، واتسعت دائرتها ، وأصبحت حديث الشارع ، حتى وصلت إلى أقصى مكان بالمدينة .

النقطة الثانية : أن هؤلاء الدعاة كان من جوانب نجاحهم ، هو حسن تقديم قضيتهم ، وعدالتها ، مما جعل رجل الشارع أن يتحرك ، حتى ولو كان فرداً ، وفرداً واحداً ، متفاعلاً مع قضيتهم بل ويتحمل خطورة عرض دفاعه ورأيه ، حتى ولو أدى ذلك إلى استشهاده فى سبيل موقفه المناصر .

وهى القضية التى ننظر إليها بمنظار آخر ، ألا وهو أهمية وجود الرأى العام المناصر للفكرة ، والمؤيد للداعية وكذلك

(1) القصص : 20 .

خطورة دور الرأى العام المناصر ، فى كل قضية ، حتى وإن تواضع عدده .

ولو تدبرت التجارب الدعوية التى عرضها القرآن الكريم ، والسيرة النبوية الشريفة ، لو جدت أمرين مهمين بارزين :

الأمر الأول : مدى حرص الرسل والدعاة ، على توصيل فكرتهم ودعوتهم إلى جماهير الشارع ، بكل الوسائل .

الأمر الثانى : مدى حرص أعداء الدعوة على كل عمل مضاد يواجه هذه العدوى الدعوية ، ويؤدى إلى عملية عزل الدعوة عن الناس ، وتحجيم الدعاة ، بل وإن أدى الأمر إلى سجنهم أو نفيهم أو قتلهم .

وتدبر كيف أن الحق سبحانه قد ربط بين خيرية هذه الأمة ، وبين خروجها إلى الناس ، كل الناس ، على مختلف فئاتهم وأجناسهم ، وألوانهم ، لتقودهم إلى خيرى الدنيا والآخرة ، أمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر ، وذلك بعد إعادة صياغتها عقائدياً ، لتنطلق من قاعدة إيمانية ، ولتكون شهيدة عليهم : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] .

---

(1) آل عمران : 110 .

فكان سلوكه ﷺ فى كل مراحل الدعوة ، هو الالتزام بجانبين مهمين هما :

(1) تربية قاعدة صلبة تقود التغيير .

(2) الاهتمام بقضية الخروج إلى الناس ، وذلك من أجل هدف نهائى ، هو إيجاد قاعدة جماهيرية تناصر الأولى وتحميها وكانت الأعمال المضادة له من قبل قريش ، هى نفسها محاولات كل أعداء الدعوة على مر تاريخ الدعوة ، وهى الوقوف ضد محاولات الخروج إلى الناس ، والممثلة فى محاولات القتل والنفى والتعذيب للدعاة والتغييب والتجهيل والعزل والتعتيم للدعوة ، وذلك فيما وضحته الآيات القرآنية ، وسيرته ﷺ ، ومنها :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[1]

وكذلك حرصهم على عودة الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ، إلى المدينة وتأجيل العمرة أثناء غزوة الحديبية ، وذلك حتى لا يحدث الاحتكاك بينهم وبين أهل مكة .

وتدبر قصة الغلام والراهب[2] ، وكيف أن الغلام كان من

---

(1) الأنفال : 30 .

(2) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود 4/ 2299 ورقمه 3005 ورواه الترمذي في سننه في كتاب التفسير - تفسير سورة البروج 4/ 437 .

الذكاء أنه قيل أن يقتل ، بشرط مهم جداً غفل عنه الملك ؛ وهو أن يخرج إلى الناس ، وتشهد الجماهير عملية القتل ، حتى تعيش القضية التى من أجلها استشهد .

وتدبر أيضاً هذا الإعلان الفرعونى : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[1] .

وهو نفسه إعلان قوم لوط : ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[2] .

وفى تاريخ الدعوة المعاصر ، نجد أن من أهم مسوغات إعدام أحد القضاة الدعاة ، فى خمسينيات هذا القرن ؛ هو تفاعل الجماهير معه ، وانصرافهم من إحدى التظاهرات الضخمة ، بمجرد إشارة من يده ، بعد أن فشل الجميع فى تفريقها !

دعامتا التغيير :

لهذا فإنه من بديهيات القول ، أن ندرك أن عملية التغيير الحضارى ، وبعث هذه الأمة من جديد ، وأن الطريق إلى عودة

---

(1) الشعراء 53ـ56 .
(2) النمل : 56 .

الإسلام ، هو ضرورة تكوين أمة جديدة ، تمر بعملية إعادة صياغة إيمانية ، فتتربى على الفكرة الإسلامية ، ويترجم الإسلام فى سلوكياتها ، وحركة أفرادها فى الحياة .

وأن عملية تكوين هذه الأمة الجديدة المنشودة ، تقوم على دعامتين أساسيتين :

الدعامة الأولي : هى تكوين جيل مسلم ، يتربى تربية خاصة ليكون بمثابة الطليعة الفاعلة ، والأداة المحركة ، والقوة المنفذة .

الدعامة الثانية : هى تكوين رأى عام إسلامى ، يناصر الفكرة الإسلامية ، يحب دعاتها ويكره أعداءها ، ويحرص على انتصارها .

وكذلك من المسلمات ، أن نعلم أن عملية تكوين هاتين الدعامتين ، إنما تمر عبر خطين بارزين متوازيين ومتلازمين ، وأساسيين ، وهما ما يجمعان كل وسائل الدعوة على وجه الإجمال والتقعيد والتنظيم :

الخط الأول : هو العمل الخاص ؛ وميدانه هو داخل المؤسسة الدعوية ، وذلك لتربية الجيل التغييرى المنشود .

الخط الثاني : هو العمل العام ، وميدانه داخل المؤسسة وخارجها ، وهو الترجمة العملية لقضية الخروج إلى الناس ،

وذلك من أجل نشر الفكرة ، وإيجاد الرأى العام الإسلامى المناصر .

العمل العام :

وقضيتنا اليوم على وجه التركيز ، هى قضية هذا العمل العام من حيث ماهيته ، ووسائله أو آلياته ، وركائزه أو ضوابطه .

ومن ثم يمكننا أن ندرك أهميته وخطورة دوره فى عملية تكوين الرأى العام الإسلامى المناصر .

أولاً : ماهيته :

هو كل عمل دعوى يتجه إلى خارج المؤسسة ويخرج إلى الناس ، إلى رجل الشارع ، وجماهير الأمة .

ثانياً : أهدافه :

(1) بلوغ مقام الطاعة للحق سبحانه ، بتنفيذ أوامره جَلَّ وعلا بنشر دعوته .

(2) اكتساب صفة الخيرية التى وضحها القرآن الكريم .

(3) نشر الفكرة ، وتكوين الرأى العام المناصر لها .

(4) العمل على تفعيل قضايا معينة ، وجعلها قضية أمة ، أو مشروع قومى ، يجمع فئات الأمة على مختلف ألوانهم ، واتجاهاتهم .

(5) توسيع قاعدة الجيل التغييرى أو الطليعة المنشودة .

ثانياً : آلياته أو وسائله المعروفة :

أ ـ المحاضرات .

ب ـ الندوات .

ج ـ منابر الجمعة .

د ـ الأنشطة الرياضية .

هـ ـ الحفلات العامة والمناسبات المختلفة .

و ـ الاحتكاكات والمعايشة اليومية مع أفراد الأمة .

ز ـ فعل الخير ، وتقديم الخدمات .

ح ـ وسائل الآلة الإعلامية المنوعة ، مثل الشعر والقصة والأقصوصة ، والمادة الإخبارية ، والتعليق السياسى ، والتحليل الإخبارى ، والأناشيد الحماسية بالإضافة إلى وسائل البث الإعلامى المختلفة ؛ من إذاعة وتلفاز وجريدة ، ومجلة وكتاب وتسجيل سمعى وبصرى .

لذا . . . فإن للعمل العام دوره الخطير ، فى مرحلة أسلمة المجتمع .

فهو الترجمة العملية لكسب صفة الخيرية ؛ وذلك بالخروج إلى الناس .

وهو الذى يحرك الشارع ، ويوحد فئات المجتمع المختلفة حول القضايا المصيرية أو المرحلية الواحدة .

وهو الذى يعبر عن نبض الأمة .

فإذا غاب أو غُيِّب أدى ذلك إلى عملية عزل بين حركات التغيير الإصلاحية ، وبين جماهير الأمة ، فيؤدى ذلك إلى سهولة عمليات إجهاض تلك الحركات .

وتكون المحصلة النهائية ، هى عملية الوأد المقَنَّعَة لأى حركة تغييرية إصلاحية .

ومن ثم يمكننا أن نقرر أن المسئولية فى عملية العمل العام ، ودوره فى عملية تكوين رأى عام إسلامى ، هى :

تبعة فردية . . .

ومسؤولية جماعية ، . . . معاً .

لا تنفصلان ، ولا تغنى إحداهما عن الأخرى .

وهذا ما سنلمحه من الحديث عن ركائز العمل العام .

رابعاً : ركائز العمل العام :

وهى تلك المعالم أو الأسس والضوابط التى يجب أخذها فى الاعتبار عند القيام به ، فردياً وجماعياً .

وذلك من أجل الأخذ بالأساليب العصرية ، والمعطيات المستحدثة ، والمتغيرات المرحلية فى عرض القضية .

وهو من باب الأخذ بالأسباب ، كما جاء فى هذه اللمحة القرآنية الطيبة ، حول سلوك أحد رواد التمكين فى تاريخ الدعوة وهو (ذى القرنين)، عندما بين الحق سبحانه أن قاعدتا التمكين هما :

القاعدة الأولي : التوفيق الإلهي : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[1] أى أن الحق سبحانه قد وهبه كل الوسائل والطرق التى تحقق له هذا التمكين ، وهى كل المظاهر المادية ، التى تشمل الأسباب العلمية والفكرية والسياسية والصناعية والاقتصادية والعسكرية .

وهذه هى أول القواعد المهمة فى عملية التمكين ، وهو التوفيق الإلهى ، أو دور القدرة الإلهية فى هذه العملية التغييرية الحضارية .

القاعدة الثانية : الدور البشري ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[2] أى أن (ذا القرنين) قد أحسن استغلال تلك الأسباب التى وهبها الحق

---

(1) الكهف : 84 .
(2) الكهف : 85 .

سبحانه له ، بل وطورها وتفنن فى تنميتها ، وتطبيقها وتوظيفها .

وقد ورد هذا الخبر عن (ذى القرنين) خلال سياق القصة ثلاث مرات ، أثناء رحلاته الثلاث إلى المغرب ، والمشرق ، والشمال .

ونستشعر من هذا أن (ذا القرنين) قد بلغ الأوج فى النضوج العقلى والفكرى والعملى ، فكان مثالاً رفيعاً فى حسن حمل أمانة التكليف والاستخلاف والإعمار .

ثم نأتى إلى الحديث حول ركائز العمل العام ، وهى محاولة متواضعة ، لبحث ضوابط منهجية فى فقه الخروج إلى الناس :

الركيزة الأولى : تحديد القضية المرحلية الواحدة :

وذلك بإعلان الهدف المرحلى المصيرى الواحد ؛ وهو تكوين الرأى العام المناصر ، وإعلان حالة التعبئة العامة حوله ، وهذا من شأنه أن يثمر الرغبة العارمة عند كل فرد ، بخطورة مرحلية القضية ، ومصيريتها ، فتصبح شغله الشاغل .

ومن هنا تتوحد الجهود فيثمر الهدف المرجو .

وتدبر ما ورد فى قصة (طالوت وجالوت)، عندما توحد الرأى حول هذه القضية المصيرية : ﴿ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا

ملكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] لقد كانت حالة التعبئة العامة للأمة ، حول قضيتهم المصيرية ، من الانضباط والنظام بحيث دعت الكبراء لينوبوا عن الجميع ، ويتحدثوا بإسمهم ، فتوجهوا جماعياً إلى نبيهم - وقيل أنه (شمويل) أو (صمويل) الذى أتى بعد موسى عليه السلام كمجموعة على نفس الرأى ، وطلبوا منه عليه السلام أن يختار لهم عن طريق الوحى قائداً يجتمعون حوله ، وهذا يبين مدى التربية أو الشدة التى أوصلتهم إلى وحدة فى التوجه إلى قائدهم وزعيمهم . فلم يتفرق شملهم ، وكذلك فى طلبهم أن يعين عليهم ملكاً واحداً يقودهم .

وكانت حالة التعبئة العامة ، كذلك من الفهم العميق ، بحيث تمثلت فى رغبتهم العارمة فى الجهاد فى سبيله سبحانه ، لا فى سبيل غايات أخرى .

وكم من مآسى أودت بأمتنا ، من جراء عدم الانضباط ، ومن جراء الخلل فى فقه الجهاد ، ثم من جراء التفرق بين قيادات شتى ، وتحت رايات متعددة ، مما أدى إلى الفشل المرة تلو المرة فى اقتطاف ثمار النصر .

حتى راجت مقولة :

(الإسلاميون : بذل وجهد وتضحيات ، ولا ثمرة !!!)

---

(1) البقرة : 246 .

الركيزة الثانية : إشعال روح التحدي :

وذلك بإيجاد الإرادة الجماعية حول هذه القضية ، وهى تكوين رأى عام إسلامى مناصر ، وجعلها قضية تحد مصيرية أو قضية مرحلة ، تعبر بالفكرة كل محاولات الحصار والتغييب .

وهذه الركيزة يلزمها أن يستشعر كل فرد خطورة قضية المرحلة ، وعنف التحدى ، وهو محاولات التجفيف لمنابع الدعوة بشرياً ، واقتصادياً ، وثقافياً ، وسياسياً وإعلامياً .

وهى عبارة عن مرحلة قدح الشرارة .

وتدبر ما ورد فى قصة (طالوت وجالوت) ، عندما يحدثنا مطلعها : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[1] فالعجب أن تأتى المبادرة إلى العمل والجهاد فى سبيل الله ، والتحرك الحماسى الفاتر والدعوة للاستنفار العام ، من قبل الملأ ، ونحن نعلم أن القرآن يعنى بالملأ أنهم أشراف القوم وقادتهم ورؤسائهم وساداتهم فهم إذن البارزون فى المجتمع وأصحاب النفوذ فيه .

وهذا ما يبين أن قضية خطر هؤلاء العمالقة ـ وقيل أنهم الفلسطينيين ـ الذين غلبوا بنى إسرائيل على أمرهم ، قد زاد حتى

---

(1) البقرة : 246 .

هدد مصالح هؤلاء الأشراف ، فأخرجوا من ديارهم ، وحيل بينهم وبين أبنائهم ، وأخيراً أخذ التابوت منهم ، فانفصمت عورتهم وذلوا ؟ .

وما يعنينا فى هذا الملمح التربوى ، هو أن قضية الجهاد قد أصبحت حديث الشارع ، ولسان حال الأمة ، وتم إعلان حالة التعبئة الجهادية العامة ، فوصلت الفكرة إلى كل الطوائف ، واتسعت القاعدة المؤمنة بالقضية . فالتحرك للجهاد ، يجب أن يتميز بضوابط : منها اتساع قاعدة الفكرة ، وجماعية التحرك بها ثم وحدة التوجه والانقياد لقيادة واحدة . لأن (الخطوة الأولى فى مواجهة أى عدو هى إرادة القتال ، والتصميم عليه ، وقد انبعثت هذه الإرادة لدى الملأ ، واستطاعوا أن ينشروا هذه الروح العالية فى صفوف أبناء الأمة ، لتصبح إرادة جماعية)[1] .

أما فى قصة (ذى القرنين) ، فإن أخطر ملمح نراه من خلال جولته الثالثة ، وهى خطته لبعث تلك الأمة العاجزة من وهدتها .

حيث جاءت هذه الخطة النهضوية الحضارية بكل معالمها وركائزها ، حسب السياق القرآنى المبدع ، فى آخر جولات (ذى

(1) المنهج التربوي للسيرة النبوية ـ التربية الجهادية : منير الغضبان 30 .

القرنين)، وأطولها فى سياق القصة . لتبين معالم منهجية لورقة عمل يجب أن ترتكز عليها أى حركة تغييرية نهضوية حضارية ، لإنقاذ أى أمة تعانى من حالة الاستنقاع والتردى والوهن الحضارى .

وأهم ما جاء فى هذه الخطة ، وهى أهم ركيزة ، هى : إشعال روح التحدى .

وذلك عندما أوجد مشروع مصيرى ، وقضية تحد قومية ، تواجه الخطر الخارجى ، ثم أشعل فيهم روح التحدى ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[1] .

وهذا هو السبيل لتجميع كل فئات وتيارات الأمة ، وذلك من شأنه أن يلملم شعث هذه الأمة المريضة ، فتتجمع كل قواها وتستدعى كل إمكانياتها الذاتية لمواجهة هذا الخطر الخارجى .

ومن خلال هذه الركيزة تتناسى كل فئات الأمة كل مشاكلها الداخلية ، وتضع فى أول سلم أولوياتها هذه القضية المصيرية .

لقد أحسن هذا المجاهد الربانى استغلال هذه القضية القومية وجعلها مشروع أمة ، وقضية تحد ، وذلك لتحريك الجميع من

---

(1) الكهف : 95 .

حوله ، وطلب مشاركة القوم ، وحرك هؤلاء الكسالى الاتكاليين ليعملوا معه بقوة .

فهو لن يأتى بالمعجزات ولكن عندما تتحرك الجموع ويتوحد الشارع على قضية واحدة ، ويدورون جميعاً قيادة وأفرداً ؛ حول محور واحد ، فذلك من شأنه أن يأتى بما يشبه المعجزات ، فى عرف التغييرات الاجتماعية .

الركيزة الثالثة : تفعيل الحركة الحوارية مع الآخر :

وذلك بتبنى مبدأ حق الآخر فى التعبير عن رأيه فى الحوار .

وهذا من شأنه أن يمنع الاتجاهات الاستقصائية لرأى الآخر داخل كل التيارات .

وهو ما يسمى بتفعيل أو من باب تنشيط حركة التدافع الفكرى !

فلابد من حرية الرأى وحرية الحوار ، وذلك لأن العملية الإنتقائية للأفكار ، تمر عبر حرية الرأى والحوار ، فى مرحلة هى أشبه ما تكون بعملية الصراع السلمى للآراء والأفكار ، أو هى ببساطة ما نسميها بحركة التدافع الفكرى الآرائى ، وهذه صورة من صور حركة التدافع الحضارى الشاملة ، التى جعلها الحق

سبحانه من السنن الإلهية التى تفرز الأصوب والأبقى والأصلح فى كل شىء؛ سواء أفكاراً أو آراءاً أو أفراداً أو أمماً ، فإذا توقفت تلك العملية التدافعية الحضارية المختلفة الصور لكان الفساد ، وهذا من فضله سبحانه من أجل ديمومة واستمرارية العملية الاستخلافية الإعمارية فى الأرض : ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] .

وفى عصرنا نسمع الكثير عن الندوات والحوارات التى تنظمها مراكز توجيه الفكر ، والتى يقوم عليها رموز علمانية ، والواجب أن يحسن أبناء التيار الدينى استغلال هذه المبادرات لأنهم فى حاجة لكسر طوق الحصار على الأفكار ، وتشجيع الحركة الحوارية ، لأنهم الأقدر والأعلى بفكرتهم الربانية فهى الوحيدة القادرة على كسب العملية الانتقائية للأفكار تحت ضوء حرية الرأى .

وإجابة مبادرات الحوار ، هى العلامة التى تفتح باب الأمل فى ترسيخ قضية قبول الآخر .

وتدبر كيف أن القرآن الكريم قد أشار فى غير موضع إلى هذه القضية ، فى الحوارات الكثيرة التى تضمنتها آياته الكريمة ، وحق الآخر فى المناقشة والتعبير عن رأيه ، ويكفينا فى هذا المقام

(1) البقرة : 251 .

مجرد الإشارات السريعة ، إلى بعض منابر الحوار . فتدبر حوار إبليس اللعين مع الحق سبحانه﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ ، ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [1] ثم فى حوار موسى - عليه السلام - مع السامرى﴿قَالَ فَمَا

(1) الحجر 32_44 وص 75_85 .

خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [1] وحوار (الهدهد) مع سليمان ـ عليه السلام ـ ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [2] وحوار أصحاب النار مع أصحاب الجنة ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا

---

(1) طه : 95ـ98 .

(2) النمل 20ـ28 .

وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[1] .

وتدبر هذه الأدبية التى أوردها الإمام(محمد بن إسحاق بن يسار) فى معرض تفسير سورة (فصلت) ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس فى نادى قريش ـ ورسول الله ـ ﷺ ـ جالس فى المسجد وحده ـ : يا معشر قريش

(1) الأعراف : 44 ـ51 .

ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أن أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ـ فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى إنك منا حيث علمت من السلطة فى العشيرة ، والمكانة فى النسب ، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أموراً ننظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال رسول الله ﷺ : **قل يا أبا الوليد أسمع**)[1] .

وتدبر ما ورد فى قصة صاحب الجنتين ، كيف بادر الرجل الكافر بالحوار : ﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾[2] .

ولقد قبل الرسول ﷺ وقبل الرجل المؤمن دعوات الحوار تلك ، من باب أن وجود جسور فى العلاقات من شأنها أن تثمر الحركة الحوارية بين التيارات .

لأن حرية الرأى يعتبر الركيزة التى تنشط حركة تمحيص الأفكار وتنقيتها ، فتمر فى عملية انتقائية ، تفرز أصوب وأصلح

---

(1) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ـ طبعة دار المعرفة بيروت 4/ 98ـ99 .
(2) الكهف : 34 .

وأشـمل الآراء ، وأكـثـرها واقـعـيـة وقـبـولاً من رجل الشـارع العادى .

(وحينما تتاح حرية الرأى فى مستوى الإعلان والحجاج ، فإن العقل ينفتح على الرأى المخالف والمعطيات المضادة ، وتتم فى نطاق الحوار المقابلة بين الآراء فيسقط الضعيف ويصح القوى أما الكبت والمنع من التعبير والمحاورة فلا يثمر إلا الانغلاق على الرأى الواحد والتشبث به والتعصب له ، فلا يكون العقل ناظراً إلى الأمور إلا من زاوية واحدة قد تخطئه الحقيقة أحياناً كثيرة ، ولا غرو حينئذ أن ينمو التعصب للآراء والتشبث الأعمى بها فى كل مناخ نصادر فيه حرية التعبير ، وأن تنمو المرونة العقلية وتقبل التصويب فى كل مناخ تشيع فيه هذه الحرية . وما أروع التربية النبـوية فى هذا الخصوص ، فـقـد انتهـجت نهج الانفتـاح على مضادات الآراء بما أتاحته من حرية القول والاحتجاج والنقد ، وقد اتخذ النبى ﷺ شعاراً له : أشيروا علي أيها الناس)[1] .

وحتى لو شعرنا أن الكافر قـد فتح باب الحوار ، من باب التشفى فى صاحبه ، ولكننا رأينا فيما بعد كيف أن المؤمن وبذكاء عجيب وثقة ، ومن باب (لست بالخب ، والخب لا يخدعنى) ،

---

(1) دور حرية الرأى في الوحدة الفكرية بين المسلمين : د . عبد المجيد النجار - طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي - سلسلة أبحاث علمية (6) 61 .

قد قلب المائدة عليه وعلى أفكاره فى أدب وحجة بالغة ، وكسب جولة تصويب الأفكار .

وحرية الرأى أو حرية الحوار ، إنما تدل على صحة المناخ الاجتماعى السائد ، وهو الدعامة التى تصنع الأحرار وتعمل على تفعيل وتنشيط عوامل الوحدة الفكرية عند الأمة .

وحرية الرأى سواء على المستوى الخارجى أو على المستوى الداخلى ، هى قضية يجب أن تؤخذ بجدية داخل أى مؤسسة دعوية كانت أو أسرية ، تحاول المشاركة فى المشروع الحضارى المنشود ؛ الذى من أهدافه وثوابته ، هى محاولة تنقية العقلية المسلمة من آثار المناخات الاستبدادية ، وهى الأمراض الفكرية ، التى تكاثرت جراثيمها فى أروقة العقليات المكبوتة ، فأثمرت : عقلية العوام ، وطبيعة القطيع ، ونفسية العبيد[1] .

الركيزة الرابعة : تشجيع عمليات التجسير :

وهى المبادرات التى تتبنى صنع جسور مع الآخر ، ومع التيارات المختلفة .

وذلك من أجل التقارب ، أو التعاون فى القضايا المصيرية ، والأخطار المشتركة ، كما فى التحالفات المرحلية بين القوى .

---

(1) المصدر السابق : 15 .

وتدبر كيف كان من أسباب وعوامل تشجيع وتنشيط، بل وتفعيل الحركة الحوارية بين التيارين اللاديني والديني، والممثلين بالرجلين الكافر والمؤمن، في قصة (صاحب الجنتين)، هو العلاقة السابقة، أو الأرضية التي نشأت عليها صحبتهما .

وتأمل مغزى تلك العبارة : ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ﴾ (الكهف : 34)، وذلك بعد أن ندرك أن معنى الصاحب هو (الملازم إنساناً كان أو حيواناً، أو مكانا أو زماناً . ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر . أو بالعناية والهمة ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته)[1] .

إذن فهناك بين بالرجلين، ـ وعلى الرغم من خلافهما الفكري ـ علاقة مصاحبة وملازمة، وهي التي ساعدت على عملية الحوار وحرية الرأي .

وتدبر كيف أن هذه المبادرة في تجسير العلاقات، في مناخ يسمح بحرية التنفس الفكري، قد أثمرت هذه الخلخلة في صف قريش، مما تسبب في فتح الطريق أمام العقلاء والمعتدلين منهم، مثل عتبة بن ربيعة والذي اعتزل قريش، بعد سماعه للفكرة نقية دون حجاب من الحبيب ﷺ .

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني 475 .

وتدبر قول عتبة ، وكيف بدأ بالضرب على وتر العلاقة السابقة ورابط صلة الرحم : (يا ابن أخى إنك منا حيث علمت من السلطة فى العشيرة ، والمكانة فى النسب ، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً ننظر فيها لعلك تقبل منها بعضها) .

وهو الملمح الذى يدعو أصحاب التيار الإسلامى إلى أن يدركوا المغزى البعيد لكلمة ﴿ صَاحِبِه ﴾ التى تكررت فى سياق قصة (صاحب الجنتين)، و (يا ابن أخى) ، التى تكررت فى خطاب عتبة ، فيكونوا من أنصار تجسير العلاقات ، واستغلال العقلاء من معتدلى التيار المادى ، وهو الأمر الذى من شأنه أن يزيد فى حركة التقارب وتنقية الآراء ، ويقطع السبيل على بعض الفصائل داخل التيار العلمانى ، التى تنتهج الاستقصائية للآخر خاصة الإسلاميين .

فالجسور التى تمتد بين قمم الجبال ، هى المعبر والسبيل الذى يتجاوز به خطر الهلكة فى أودية الخلاف والقطيعة .

الركيزة الخامسة : تبني قضية الآخر :

وهى ركيزة ترتبط بالركيزتين السابقتين ، فإذا كانت الأولى

تقر مبدأ حق الآخر فى الحوار ، والثانية تقر مبدأ التجسير ، فإن هذه الركيزة تقر مبدأ حق الآخر فى الوجود .

وهذا من شأنه أن يقف ضد التيارات الاستنصالية للآخر ، والتى من أغلب ضحاياها أبناء التيار الإسلامى !

وتدبر ما ورد فى قصة (صاحب الجنتين)، وكيف عرض الرجل الكافر رأيه فى حرية تامة ، وفى إسهاب ملحوظ وتطاول فيه على كل شيء بما فيه ثوابت الرجل المؤمن ، وعقيدته ، ولم يقاطعه الرجل المؤمن .

وهى صورة تشى بمدى أدب صاحبه المؤمن ، وإيمانه بحرية الحوار ، وسماع الرأى الآخر ، إلى أبعد مدى .

وتدبر ما قاله الحبيب ﷺ لعتبة بن ربيعة فى بداية الحوار : **«قل يا أبا الوليد أسمع »**. ثم قال له بعد أن فرغ من عروضه : **«أفرغت يا أبا الوليد »**؟ قال : نعم . قال : **«فاستمع مني »**. قال : أفعل .

وفى هذا الرد الكافى على المرجفين فى مدينة الفكر والإعلام واتهاماتهم بأن التيار الدينى ، أحادى التوجه ، وخطى المنهجية فلا يقبل النقد ، ولا يقبل الآخر ، وأنه يستغل القنوات (الديموقراطية) من أجل الوصول ، ثم بعد

ذلك سيتعامل من منظور يقيد التعددية ، وينحى المنحى (الأتوقراطى) الاستبدادى الإرغامى ! .

وعندما جلس الرجل المؤمن ، يستمع لصاحبه ، دون مقاطعة - وكذلك ﷺ - دليل على قبول التيار الدينى بمبدأ الحوار والتعايش مع الآخر .

وهذا ما نلمحه من تكرار كلمة (صَاحِبِهِ) ، وكذلك فى رحابة صدره ﷺ ، وتكنية عتبة بما يحب : « يا أبا الوليد » .

وقضية قبول الآخر ، من القضايا التى يجب أن يرفع لواءها التيار الدينى ، لأنها إحدى علامات سعة المنهج ومرونة الشريعة وكذلك من علامات نضج حاملى هذا المنهج ، وثقتهم فى سمو وعلو فكرتهم التى يدعون إليها ، وهى أيضاً دلالة بارزة على سعة أفق دعاة مشروعه الحضارى .

وإذا كان لهذه القضايا أهميتها فى الماضى ، فإن هذه الأهمية تتضاعف فى حلقة الصراع والتدافع الحضارى المعاصرة ، أمام تيارات ومشاريع مناوئة يلقى حامليها بالتهم جزافاً على حاملى المشروع الحضارى الإسلامى ، ويتهمونهم بالجمود والتحجر ، وأحادية النظرة ، وعدم قبول الآخر .

وهذه القضية ترتبط بقضية أخرى يجب أن يتبناها التيار الدينى ، داخلياً ، ألا وهى قضية : تعدد الصواب ، وهى نفس

قضية مشروعية الاجتهاد فى الفروع وضرورة وقوع الخلاف فيها واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثاباً ، وذلك كما نراه فى الواقعة المشهورة عندما عاد الحبيب ﷺ من غزوة (الخندق) ووضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل - عليه السلام - بالأمر الإلهى بغزو يهود لغدرهم بالعهود ، فقال : « **قد وضعت السلاح ؟! . والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم** »، قال : « **فإلي أين** »؟ قال : « **ههنا** » وأشار إلى بنى قريظة ، فخرج النبى ﷺ إليهم[1] ثم نادى ﷺ فى المسلمين : « **ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة** ». فسار الناس ، فأدرك بعضهم العصر فى الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلى حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلى ، ولم يرد منا ذلك فذكروا ذلك للنبى ﷺ فلم يعنف أحداً منهم[2] .

فتدبر موقفه - ﷺ - من المتخالفين ، وإقراره بجواز صحة كل منهما .

وهناك قضية أخرى ، تأتى المناسبة للحديث عنها ، وهى قضية أو فكرة التعددية ، وخاصة الجانب الأهم منها وهو التعددية السياسية لأنها قضية الساعة ، وموضع القدح والنقد من قبل الطاعنين فى المشروع الإسلامى .

---

(1) متفق عليه واللفظ للبخاري .
(2) رواه البخاري .

والتعددية تعنى فى جوهرها : التسليم بالاختلاف الذى لا يسع عاقلاً إنكاره والتسليم به حقاً للمختلفين لا يملك أحد أو سلطة حرمانهم منه .

والتعددية السياسية ، تشير إلى عناصر تنظيم الكيان السياسى بما يمكن التوجهات السياسية والفكرية المختلفة من الحفاظ على أطروحاتها الخاصة بها ، وحقها فى المشاركة فى العملية السياسية بفعالية ، وكذلك حقها فى إنشاء مؤسساتها ومنظماتها الخاصة لتحقيق أهدافها المنشودة .

وللدكتور (يوسف القرضاوى)ـ وهو من أعلام التيار الدينى ودعاة المشروع الحضارى الإسلامى ـ ، شعار رائع يدلل على أهمية التعددية السياسية ، من باب مشروعية التعددية الفقهية ، فيقول : المذاهب أحزاب فى الفقه ، كما أن الأحزاب مذاهب فى السياسة .

وللدكتور (عبد الغفار عزيز)، رأى فى رسالة دكتوراه بعنوان (الدعوة والدولة فى صدر الإسلام) حول تاريخ التعددية السياسية ، يرى فيه أن الرسول ﷺ كان زعيماً لمعارضة نظام الحكم فى مكة ، كما أنه ﷺ قد سمح بها وفتح مناقشة آراء المعارضة فى (بدر وأُحُدْ وحصار المدينة وغزوة الخندق). وكان بلال رضي الله عنه زعيماً من زعماء المعارضة فى عهد عمر رضي الله عنه وكان له

أتباع وأعوان من بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم مثل (عبد الرحمن بن عوف) ﷺ وكان الفاروق ﷺ لا يستطيع شيئا مع الرأى الآخر إلا أن يقول : اللهم اكفنى بلالاً وأصحابه[1] .

ومن الأهمية بمكان أن نورد الحركة الإسلامية المعاصرة ، حتى يتبين لنا أطروحاتها حول هذه القضية ، ولقد ورد فيه :

(لذا فإننا نؤمن بتعدد الأحزاب فى المجتمع الإسلامى ، وأنه لا حاجة لأن تضع السلطة قيوداً من جانبها على تكوين ونشاط الجماعات أو الأحزاب السياسية ، وإنما يترك لكل فئة أن تعلن ما تدعو إليه وتوضح منهجها وما دامت الشريعة الإسلامية هى الدستور الأسمى . كما أننا نرى أن قبول تعدد الأحزاب فى المجتمع الإسلامى على النحو الذى أسلفنا يتضمن قبول تداول السلطة بين الجماعات والأحزاب السياسية وذلك عن طريق انتخابات دورية)[2] .

وبعد . . . فإن الحديث عن تلك القضايا ، والتنويه عنها يأتى فى موضعه ، فإذا تبناها التيار الدينى المعاصر ، ودعاة

---

(1) مقتطفات من ندوة مركز الدراسات الحضارية بالقاهرة حول : التعددية السياسية ـ رؤية إسلامية ـ في أغسطس 1996م . مركز الإعلام العربي 9ـ76 .
(2) رسالة : المرأة المسلمة في المجتمع المسلم ـ والشوري وتعدد الأحزاب بتصرف . 40ـ39 .

المشروع الحضارى الإسلامى ، فإنما فيه الدلالة على مدى سعة ومرونة الشريعة ، ورحابة الفكرة ، التى يقوم عليها مشروعهم ، وفى نفس الوقت يتبين الفرق بينه وبين المشاريع الأخرى ، القائمة على الأفكار الإستئصالية لحرية الآخر فلا يسمح له ولو بصحيفة يعلن فيها رأيه ، والتى تقوم أيضاً على النزعة الاستقصائية لوجود الآخر ، فلا يسمح إلا لوجود من يدور فى فلكهم .

الركيزة السادسة : الثبات علي المبدأ

وهى الركيزة التى تبين أصالة الفكرة ، وقوة تجذرها .

وتثبت أيضاً عمق الالتزام بالثوابت وفقه المرونة بحسن التعامل مع المتغيرات .

وهى التى توضح لرجل الشارع العادى ، الفرق بين الثابت على الفكرة ، والمتلون الذى يصطبغ بصبغة كل عصر .

فالثبات هو المنارة التى يؤوب إليها كل شارد ، ويهتدى على نورها كل باحث عن الحقيقة فى أسواق المبادىء والأفكار ، وقد جلب بعضهم بضاعات مزجاة استوردوها من فتات موائد الغرب والشرق !

وتدبر قصة (صاحب الجنتين)، كيف بادر الرجل الكافر بالحوار ، وهو الملمح الذى نستشعر معه أن صاحبه الرجل المؤمن

كان ثابتاً على أفكاره ، واثقاً من طريقه ، وهو الأمر الذى أثار حفيظة الرجل الكافر فأراد أن يلفت نظره إلى ملكه الواسع ، لعله يتراجع عما يحمله من آراء .

وأمر الثبات على المبدأ بدا واضحاً فى خطاب الرجل المؤمن عندما قال : ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[1] .

وتدبر هذا الموقف : (أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس فى نادى قريش ـ ورسول الله ـ ﷺ ـ جالس فى المسجد وحده ـ : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أن أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ـ فقالوا : بلى يا أبا بالوليد فقم إليه فكلمه) .

وتأمل قوله ﷺ فى نهاية المقابلة ، رافضاً عروض عتبة : **(قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك)** .

إنه الثبات على الحق والتمسك بالفكرة ، فقريش تجلس كلها فى ناديها ، ويجلس الداعية وحده ، ورغم ذلك يشعرهم بقوة التحدى والثبات ، وهو الأمر الذى نتج عنه خلخلة الصف

---

(1) الكهف : 38 .

المعادى ، مما أدى إلى بروز بعض الأصوات العاقلة داخل معسكر الكفر ، والتى تؤمن بمبدأ الحوار والتفاوض ، وحق الآخر فى الوجود ، وفى التعبير عن رأيه .

إذن فثبات أبناء التيار الدينى ، هو الصخرة التى تتحطم عليها أمواج التيار المادى العاتية فتذهب جفاءاً ، ويبقى الحق شامخاً ، لينفع الناس ويعمر الأرض : ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[1] .

وهذا الثبات ، إذا اعتبرناه علامة الثقة فى الطريق ، من حيث الفكرة والوسيلة والغاية ، فإنه لا ينفى المرونة الحركية ، والسعة الفكرية ، عند قبول الحوار ، وشجاعة المشاركة فى عملية التدافع الفكرى الآرائى ، لأنه يقى أبناء التيار الدينى من بعض الإصابات التى أصابت العمل الإسلامى فى مقتل ، وأهمها ذلك الفكر الذى جاء إفرازاً لما تعرضت له الحركة الإسلامية (من أزمات ، ومحن ، ومطاردات ، مما يمكن أن نطلق عليه : فكر المواجهة أو فكر الأزمة ، الذى جاء ثمرة لظرف وزمن معينين . وقد لا تكون المشكلة فى فكر الأزمة ، لأنه استجابة طبيعية للمواجهة ، لكن المشكلة فى العقلية التى حاولت تعميمه ، وتخليده على الزمن . ووقعت فى أزمة الفكر ، وعدم القدرة

(1) الرعد : 17 .

على الإنتاج الفكرى الملائم والمطلوب للمرحلة ، وبذلك نشأ كثير من الأفراد ، نشأة غير سوية ، نتيجة التربية غير السوية ، وبسبب الهواجس الأمنية ، وهواجس المواجهة ، فأصبحت تستدعى المواجهة ، وتفترضها ، وتعتبرها الأصل الدائم ، بل ومقياس الصواب فى العمل ، لقد افتقدت الحرية فى الفكر ، والحركة ، والممارسة ، واصطحب كل فرد سَجَّانه ، ومراقبه الأمنى داخله ، حتى أصبحت فترات الحوار والاسترخاء هى الإستثناء ، وفرصة للاستعداد لجولة جديدة !!؟)[1] .

الركيزة السابعة : فعل الخير :

وهى ركيزة ، تفتح الأبواب الموصدة أمام الفكرة وذلك من خلال فتح القلوب ، ومعالجة النفوس التى تحب فعل الخير إليها .

فهى تقوم على فقه استعباد قلوب الناس .

وتلك ركيزة يستشعرها أبناء التيار الإسلامى ، من باب مسؤوليته ، وتمثيله لتيار جاء ليحمل الخير للبشرية التعيسة الرافضة الجامحة .

ومن باب تلك العاطفة الجياشة التى يحملها دعاة التيار

---

(1) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة : عمر عبيد حسنة ـ طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (7) 116 بتصرف .

الدينى ، دوماً فى كل عصر ، وفى كل موقف ، حتى لمخالفيهم

ذلك التيار الذى يحمل شعاراً ، وأمراً ربانياً لبث الخير أينما حل : ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] .

وهذا التيار هو طليعة أمة ، اكتسبت خيريتها من الخروج إلى الناس ، كل الناس ، لتقودهم ، إلى خيرى الدنيا والآخرة ، أمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر ، منطلقة من قاعدتها الإيمانية ، ولتكون شهيدة عليهم : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2] .

وصفة حب الخير وحب فعله ، قد اكتسبها وتربى عليها كل من أقر بأن قائده وزعيمه ﷺ ، الذى وصفه الحق سبحانه ، بأنه منهم ، وأنه حريص عليهم وأنه رءوف رحيم بهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] .

وتدبر ما ورد فى قصة (صاحب الجنتين) ، عندما نتأمل الرجل المؤمن فى حواره ، وعرض أفكاره ، ونقف عند نقطة

---

(1) الحج : 77 .
(2) آل عمران : 110 .
(3) التوبة : 128 .

مهمة ، جاءت على لسانه ، والحوار فى مرحلة ساخنة ، وهى نصيحته المشفقة : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[1] لقد (أرشد الرجل المؤمن صاحبه الكافر ، وهو يحاوره إلى التصرف اللائق الصحيح ، الذى يشكر فيه ربه ، ويعمل على دوام نعمة الله عليه . وطالبه بأن يلجأ إلى الله ، وأن يعلق الأمر على مشيئته ، ويجعله مرهوناً بقدرته ، وأن يستمد قوته من قوة الله سبحانه)[2] .

وتأمل هذا السلوك الفريد ، وكيف أن الرجل المؤمن قد راعى حق الصحبة ولو مع الكافر ، ولم يشعر بالصغار أمام ملكه الواسع ، بل أعلن لصاحبه فى اعتزاز وإيمان ، تلك النصيحة الراقية ، الخالصة المخلصة ، فى كيفية الشكر ، وكيفية حفظ نعم الله ؟! .

وتذكر فقط مغزى تلك النصيحة المشفقة ، التى جاءت فى سياق الآيات التى تلاها ﷺ أمام عتبة ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾[3] .

---

(1) الكهف : 39 .
(2) مع قصص السابقين في القرآن : د . صلاح الخالدي ـ طبعة دار القلم ـ دمشق 2/ 140 .
(3) فصلت : 6 .

لقد أعلن ﷺ أنه منهم ، ولكن الفرق أو تميزه عنهم ، هو أنه رائد أهله ، رائد يحمل رسالة ربانية ، تدعوهم إلى توحيده سبحانه ، ثم تأخذ بيدهم إلى الاستقامة والهداية .

لذا . . . فإننا لا نستغرب سلوك الرجل المؤمن مع صاحبه .

وكذلك نتذكر ما ورد فى قصة (الغلام والراهب) [1] وكيف أنه وبعد أن استقر الإيمان فى قلبه ، بدأ بالاختلاط والخروج إلى الناس ، وقدم إليهم الخير والخدمات الجليلة وفى هذا (رد على الذين يزعمون أن فعل الخير لا يجدى فى الدعوة إلى الله ، وأن على المسلمين إقامة الحكم الإسلامى ، أما شغل النفس بإطعام الجائع وكسوة العارى وبناء المساجد والمستشفيات ، فإنه مضيعة للوقت ، وهذا الحديث يرد عليهم ، فقد أجرى الله على يد الغلام إبراء الأكمه وشفاء الأبرص ، وغيرها من الأمراض ، مما جعل الناس يتعلقون به ، ويقبلون على دعوته)[2] .

وكذلك لا نعجب لسلوك رواد التيار الدينى المعاصر مع قومهم ، خاصة مخالفيهم ، وذلك لأنهم يستمدون فكرتهم

---

(1) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود 4/ 2299 ورقمه 3005 ورواه الترمذي في سننه في كتاب التفسير - تفسير سورة البروج 4/ 437 .

(2) صحيح القصص النبوي : د . عمر الأشقر - طبعة دار النفائس - الأردن 315

وعاطفتهم من معين واحد ، ومن منطلق واحد ، ويكفينا فى هذا المقام ، أن نورد مجرد عينة من خطابهم ، حيث يقولون فى إحدى أدبياتهم :

(ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا ، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداءاً لعزتهم إن كان فيها الفداء ، وأن تزهق ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء . وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التى استبدت بقلوبنا ، وملكت علينا مشاعرنا ، فأقضت مضاجعنا ، وأسالت مدامعنا)[1] .

الركيزة الثامنة : الاهتمام بدور الأدب :

وهو الجناح المهم من أجنحة الآلة الإعلامية ، التى تهدف إلى مخاطبة العقل الباطن للأمم ، دون ضجيج ، فتتشكل به العقليات على المدى القريب والبعيد .

وهنالك قاعدة أبدية مطردة ، وسنة اجتماعية ثابتة ، وهى أن :

أدبيات كل عصر ما هى إلا مرآة صادقة للحقبة الزمانية والمكانية ، التى تصدر عنها .

---

(1) مجموعة الرسائل : رسالة دعوتنا ـ الإمام البنا 13 .

ومن هنا يبرز دور الأدب ، ويبدو أهمية المحافظة على قيمته الأخلاقية ، والثقافية ، كعنوان للمرحلة التى تعيشها الأمة .

بل إن دوره يتعدى ذلك ليصبح عاملاً خطيراً ، فى عملية التغيير الحضارى ، وتأمل ما سطره شهيد اليمن القاضى الشاعر (محمد محمود الزبيرى) : (كنت أحس إحساساً أسطورياً بأنى قادر بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد والظلم والطغيان)[1] .

ولو تصفحت ملفات الأدب المصرى ، وبالتالى تابعه الأمين الأدب العربى عموماً ، فى حقبة الستينيات من هذا القرن ، وهى مرحلة عنفوان الحقبة الناصرية ، لوجدت على صفحة مرآته ، تبدو صورة سافرة لتقديس الزعامة ، وصورة تمجيد الإشتراكية والشيوعية .

والآن ، وفى نهاية التسعينيات ، تبدو صورة الصراع بين الفكرة الإسلامية ، وحامليها من أبناء التيار الإسلامى ، من جهة ومحاولات تجفيف منابعها ، بقيادة المستظلمين ، أو ما يسمونهم بالمستنيرين ، كجناح أدبى وإعلامى من أجنحة الهجمة العلمانية الشرسة ، من جهة أخرى ، حيث تبدو هذه الصورة مترجمة

---

(1) ديوان ثورة الشعر : الزبيري 10 نقلا عن شعراء الدعوة الإسلامية : الجدع وجرار 1/ 22.

بمرآة الأدبيات التى تشهد على عصر هذه الحقبة المصرية العصيبة فلا يكاد يمر يوم إلا ونشهد جولات متجددة للصراع المستميت من قبل رموز التيار الإسلامى لكشف الكتابات الإلحادية ، والأفكار الشاذة ، لدعاة التغريب والعلمنة ، كقضية (نصر أبو زيد) و(حسن حنفى)، ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ (الأعراف : 202) .

ونحن نتجاوز تلك القاعدة المهمة ، إلى قاعدة أخرى ، مرتبطة بها ، وهى أن : الأدبيات تعتبر أيضاً خير شاهد على عصر الفكرة التى تدور فى عقل صاحبها ، والمرحلة الفكرية والثقافية ، بل والتربوية التى يمر بها .

ومن هنا يأتى دور الدعاة والمصلحين ، وكل القائمين على عملية التغيير الحضارى للأمة ، بالاهتمام بهذا الجانب ومحاولة تشجيع أصحابه ، لأن المشروع الحضارى ، مشروع مؤسسى متكامل ومتعاضد وشامل ، أى ذو أجنحة من أهمها جناح الأدبيات كواجهة إعلامية له .

وكذلك هو مشروع جهادى السبيل .

وإذا كان الجهاد مراتب أربعة ، هى :

مرتبة جهاد النفس ، وهى تكون بالعلم والعمل بهذا العلم والدعوة إليه ، ثم الصبر على جهاد الدعوة ، وذلك كما توضحه (سورة العصر) .

ومرتبة جهاد الشيطان ، وذلك بسلاح اليقين ضد شبهاته ، وبسلاح الصبر ضد شهواته ، كما توضحه الآية الكريمة : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1] .

ومرتبة جهاد الكفار بالسيف والسنان ، أو ما يقوم بعملهما .

ثم مرتبة جهاد المنافقين ، بالكلمة واللسان[2] .

وإذا كان لكل عصر طغاته ، وإذا كان كذلك لكل مرحلة دعوية أعداؤها ، وبالتالى كان لكل عصر جهاده وأسلحته المكافئة .

لذا . . . فإن فى هذا العصر الذى كثر فيه السحرة وغاب عنه عصا موسى كما يقول الشيخ (الغزالى) رحمه الله ، فإن من أبرز أنواع الجهاد المكافىء والمناسب له ، هو جهاد الكلمة ، وهو المقدم فى مرحلة يطفو على سطحها زبد المنافقين .

فالكفر لا يجابهه إلا الفكر .

ومن باب أن الهجوم خير وسيلة للدفاع ، فالنصر دوماً يأتى لأصحاب المبادرة ، الذين يدخلون على عدوهم الباب .

---

(1) السجدة : 24.
(2) زاد المعاد : ابن القيم 3/ 9ـ12 بتصرف .

ولقد قص علينا ربنا أن (التيه) كان عاقبة قوم فرطوا فى مهمتهم ، ونكصوا عن الهجوم ، عندما أمرهما رجلان من صالحيهم ، بقولهما : **﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾**[1] .

ولا نقول أنه هو السلاح الوحيد بل هو أحد أجنحة ومراتب الجهاد الواجب عدم التفريط فيها .

ولا ننسى أن الرسول ﷺ كان يجاهد الكفار بالسلاح فى ميدان المعركة ، وفى نفس الوقت كان لا يهمل سلاح الكلمة فى ميدان الفكر ، وكان ﷺ دائم التشجيع للقائمين على المؤسسة الإعلامية ، مثل (كعب بن مالك)، و(عبد الله بن رواحه) رضوان الله عليهما ، وكان يدفع أحد أبرز رموز الآلة الإعلامية وهو (حسان بن ثابت)رضوان الله عليه ويأمره : **(اهجوهم وروح القدس يؤيدك)** .

وفى نفس الوقت ، كان من أبرز الستة الذين حكم عليهم بالإعدام غيابياً ، وأمر باستحلال دمهم ، هم القائمين على الآلة الإعلامية المعادية ، من شعراء المشركين ، ومن أبرز أمثلتهم تلك الحية الرقطاء التى كان شعرها كلسع النار على ظهر المؤمنين ،

(1) المائدة : 23 .

وهى (عصماء بن مروان) والتى قتلها (عمير بن عدى بن الخطمى) ، وقد خلد الحبيب ﷺ فدائيته ، فقال لأصحابه : « **إذا أردتم أن تنظروا إلي رجل نصر الله ورسوله بالغيب ، فانظروا إلي عمير بن عدي** » [1] .

ولو تأملنا كيف كان للأدب العالمى دوره الإنسانى ، ومشاركته فى عملية التغيير الحضارى ، عندما يخاطب العقل الباطن للبشرية ، فيؤدى إلى تغيير النفوس .

وهل هناك أروع من تحفة (شكسبير) ، التى بلغت القمة فى تصوير جشع يهود ، وهى (تاجر البندقية) ؟!

وكذلك نتذكر رائعة (جون شتاينبك) وهى (اللؤلؤة) ، والتى أبرزت عمق الصراع الإنسانى مع المال .

وأيضاً قصة (مزرعة الحيوان) للكاتب العالمى (جورج أورويل) ، وهى ترمز إلى التجربة الشيوعية فى روسيا ، وامتدت لتمثل كل تجارب الانقلابات العسكرية ، ذلك المسلسل الذى ابتليت به أمتنا من مشرقها إلى مغربها ، ولم يزل ؟!

وحول دور الأب ، كعامل تغييرى حضارى ، يتجه إلى

---

(1) إمتاع الأسماع : المقريزي 1/ 101 ـ 102 نقلاً عن : المنهج الحركي للسيرة النبوية : منير الغضبان 2/ 354ـ346 .

عقل الأمة الباطن ، نجد أن الإمام (أحمد بن حنبل) رحمه الله يقول : (ما أحوج الناس إلى قاض صدوق)[1] .

والحق سبحانه يوجهنا : ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] .

من هنا نخلص إلى أهمية هذا الجناح أو المؤسسة الإعلامية ، بما فيها الأدب ، والتى يحمل لواءها الآن (رابطة الأدب الإسلامى العالمية) .

ويجب تقدير رموزها ، ولابد من لمسة تشجيع لهؤلاء المجاهدين بقلمهم ولسانهم ، فنقدرهم ونوجههم : أن أخلصوا واكتبوا ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[3] .

الركيزة التاسعة : مراعاة نوعية الوافدين :

وهى الركيزة التى تهدف إلى أهمية حسن اختيار الشخصيات ، أو الرموز الدعوية المقبولة اجتماعياً لدى الآخر .

ونحن نعلم أن لكل ظرف أو مناسبة رجالها .

وكذلك فإن الآخر يختلف حسب تباين المستوى والمكانة ، سواء اجتماعياً ، أو تعليمياً ، أو ثقافياً ، أومادياً أيضاً .

---

(1) تلبيس إبليس : الجوزي 120 .
(2) الأعراف : 176 .
(3) محمد : 35 .

والرمز أو الشخص الذى يكون مقبولاً لدى رجل الشارع العادى ، قد لا يكون كذلك للفئة النخبوية .

لذا . . . فإن حسن الاختيار من الأهمية بمكان .

ولنتدبر هذه الحادثة العجيبة .

روى الإمام أحمد فى مسنده عن (الحارث بن يزيد البكرى) قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمى إلى رسول الله ﷺ ، فمررت بالزبذة - وهى قرية قريبة من المدينة - فإذا عجوز من بنى تميم منقطع بها - أى ليس معها من يحملها إلى ما تريد - فقالت : يا عبد الله ، إن لى إلى رسول الله ﷺ حاجة ، فهل أنت مبلغنى إليه ؟ قال : فحملتها ، فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله ، وإذا راية سوداء تخفق ، وبلال متقلد السيف بين يدى رسول الله ﷺ فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً .

قال : فجلست ، قال : فدخل منزله أو قال رحله ، فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت فسلمت ، فقال : **« هل كان بينكم وبين بني تميم شيء »** . قال : فقلت : نعم ، قال : وكانت لنا الدبرة - أى الغلبة والنصر - عليهم ، ومررت بعجوز من بنى تميم منقطع بها فسألتنى أن أحملها إليك ، وها هى بالباب ، فأذن لها فدخلت .

فقلت : يا رسول الله ، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بنى تميم حاجزاً فاجعل الدهناء ، ـ وهى صحراء معروفة فى الجزيرة العربية ـ فحميت العجوز واستوفزت ، أى غضبت وثارت لقومها ـ قالت : يا رسول الله فإلى أين تضطر مضرك ؟ ـ أين تذهب قبيلة مضر إذا أعطيت الدهناء لقبيلة ربيعة وهى القبيلة التى أوفدت الحارث ـ .

قال : قلت : إنما مثلى ما قال الأول : معزاء حملت حتفها وهى الغنمة التى حملت حملاً ثقيلاً فماتت ، وهو مثل يضرب لمن فعل فعلاً أضر به نفسه ـ حملت هذه ، ولا أشعر أنها لى خصماً ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ! .

قال : « **هيه ، وما وافد عاد** » ؟ . وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه ـ أى أنه ﷺ أراد أن يستمع إلى قصة وافد عاد من الحارث ، مع علمه بها ـ .

قلت : أن عاداً قحطوا ، ـ أى أصابهم القحط والكرب ـ فبعثوا وافداً لهم يقال له : قَيْلٌ ـ أى أحد الزعماء يستسقى ويدعو لهم بمكة ـ فمر بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر ، وتغنيه جاريتان ، يقال لهما : الجرادتان ـ وهما مغنيتان مشهورتان بمكة ، فلما مضى الشهر خرج جبال تهامة ، فنادى ، اللهم إنك تعلم أنى لم أجىء إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير

فأفاديه ، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه ـ أي أنه دعا في دون أدب ، ولم يطلب سقيا رحمة ـ .

فمرت به سحابات سُود ، فنودى منها : اختر ، فأوما إلى سحابة منها سوداء ـ أى لم يحسن استغلال الفرصة ، ولم يحسن الاختيار ـ فنودى منها : خذها رماداً ، رمددا ـ أى أدق ما يكون الرماد ـ لا تبقى من عاد أحداً .

قال : فما بلغنى أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجرى فى خاتمى هذا ، حتى هلكوا .

قال أبو وائل : وصدق ، قال : فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم ، قالوا : لا تكن كوافد عاد[1] .

لهذا . . . فإنه من الأهمية بمكان أن تكون الرموز الاجتماعية التى تخاطب الآخر ، تتميز بسمات لا تجعلها كوافد عاد .

وتدبر كيف اختارت قريش (عمرو بن العاص) ليكون وافدهم إلى (النجاشى)ليرد المهاجرين ، فما كان من هذه الجالية المسلمة المهاجرة إلا أن اختارت (جعفر بن أبى طالب) ليحاور ويرد على محاورات عمرو ، حتى نجح فى كسب القضية لصالح المهاجرين .

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده 3/ 482) ، ورواه الترمذي في كتاب التفسير باب من سورة يونس 5/ 391، 392 ورقمه 3273 و3274 .

وتدبر أيضاً نوعية الرسل الذى كان يرسلهم الحبيب ﷺ إلى القبائل والملوك .

الركيزة العاشرة : أهمية فقه ترتيب العقليات :

وهى الركيزة التى من خلالها ، يتم اختيار نوعية الوافدين

وتأمل ما ورد فى قصة أصحاب الكهف ، عندما قاموا من رقدتهم ، ثم اتفقوا جميعاً على إرسال أحدهم إلى المدينة لشراء الطعام : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[1] فإن حالهم يلقى فى روع المتدبر ، أنهم كانوا فى حيرة وخوف وتوجس ، وشعور بأن العالم كله من حولهم ضدهم ، ورغم هذا لابد لهم من الحركة ، ولابد من التعامل مع هذا الموقف ، وإلا فالموت سيأتى إما جوعاً أو هلعاً ، أو تقوقعاً وتصومعاً وانعزالاً .

وإذا كانت الحكمة تتطلب الحركة والتعامل مع الواقع ، فإن الأحكم منه هو كيفية التعامل ، ومن سيتعامل ؟! .

ولخطورة الإجابة على أسئلة أى مجموعة فى نفس الظروف وهى : هل سنتعامل ؟ وكيف سنتعامل ؟ ومتى ؟ ومن ؟ كل ذلك يلزمه تنظيم معين بخطة محكمة وقيادة واعية ، تتخذ القرارات ، وتدرس المقدمات ، وتنظم العمل ، وتفاضل بين

---

(1) الكهف : 19 .

الأولويات ، وتحسب النتائج ، فتستشرف المستقبل .

وهو ما يوحى بأهمية التنظيم فى القرارات ، وفى حسن الاختيارات ، لأن التنظيم قبل أن يعتبر فقه ترتيب الصفوف ، وقبل أن يكون فقه ترتيب الأولويات ، فهو (فقه ترتيب العقليات) .

الركيزة الحادية عشرة : مراعاة التخصص :

وهذه أولى الشروط فى عملية اختيار نوعية الوافدين .

فإذا كان منهجنا لا يعرف طبقة رجال الدين ، ولكن من الأمانة أن ندرك أن لكل علم أهله وأن لكل فن رجاله .

وفى هذا يدلنا الحق سبحانه : ﴿فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾[1] و ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[2] .

وهذا نلمحه أيضاً من خلال السياق في قصة (أصحاب الكهف) : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾[3] فلقد بعثوا أحدهم فى أخطر مهمة ألا وهى اقتحام أسوار الباطل ، وإحضار ما يحتاجونه . ومن حالتهم نعلم أنهم لم يرسلوا إلا من يصلح لهذه المهمة .

---

(1) الفرقان : 59 .
(2) فاطر : 14 .
(3) الكهف : 19 .

وهذا الموقف يذكرنا باختيار الحبيب ﷺ لـ (عبد الله بن أنيس) رضي الله عنه فى مهمة خطيرة اقتحم بها قلاع الشر وقتل أخطر من حمل لواء الغدر ضد الدعوة وهو (سفيان بن خالد الهذلى)، وكذلك عندما اختار ﷺ (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه فى أخطر مهمة ، تراجع عنها أفضل من حملتهم البسيطة ، خوفاً رغم الوعود المغرية لمن يقوم بها ، وذلك ليلة محنة غزوة الأحزاب ليأتيه بخبر القوم .

ولا ننسى أن قريش قد انتدبت رجلاً متخصصاً فى علم الأساطير ، وهو (النضر بن الحارث) ليتولى قيادة الحرب الإعلامية ضد الدين الجديد .

وهذا الملمح يبين لنا أهمية حسن الاختيار الذى لا يشينه مجاملة أو محاباة أو أى اعتبارات غير موضوعية .

وكم من ثغور ضيعت بسبب سوء اختيار القائمين عليها ، وهو من باب تضييع الأمانة ، وتوسيد الأمر لغير أهله !!؟ .

قال ﷺ : « **إذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة** ». قال : كيف إضاعتها ؟ قال : « **إذا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة** [1] .

---

(1) رواه البخاري من حديث عن أبي هريرة .

الركيزة الثانية عشرة : مراعاة العنصر الأخلاقي في سلوك الوافدين :

فالسلوك دوماً أبلغ من القول .

وهناك قاعدة مهمة ؛ وهى أن سلوك الفرد يدل على الفكرة التى يحملها .

لهذا . . . فمن الضرورى أن يكون سلوك الوافد ترجماناً صادقاً للفكرة الربانية التى يحملها .

ويجب أن يعرف بسمات تجعله معروفاً للمحيطين - على اختلاف نوعياتهم وأحوالهم ، بحسن أخلاقه ، كما عرف بها يوسف عليه السلام فنطق السجينان ناشدين رأيه فى رؤياهما : ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1] .

وتأمل هذا الجانب السلوكى فى حياة هؤلاء الفتية المؤمنين ، (أصحاب الكهف)، عندما نتدبر الشرط الذى اشترطوه على رسولهم الذى أرسلوه ليحضر لهم الطعام : ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ**﴾[2] أى فليتخير أحل وأطيب الطعام أو أجوده ، فليأتكم بشىء منه .

(1) يوسف : 36 .
(2) الكهف : 19 .

فتأمل هذا الورع واجتناب المحرمات ، والبعد عن الشبهات وعدم الركون إلى أن الضرورات تبيح المحظورات ، ولا أن الطعام كان مجهول المصدر ، وتدبر كذلك هذا الشرط الصعب لمن يبحث عن طعام فى مجتمع مسلم ، فما بالك بمجتمع غير مؤمن ، وتأمل أيضا مغزى كلمة ﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾ ، أى من دراهمهم المضروبة ونقودهم الفضية ، أى من مالهم الخاص ، وما توحى به فى النفس من أن الداعية لا يأكل إلا من ماله الخاص من ورقه المعروف مصدره ، ومن كده الخاص ، فاليد العليا دوماً خير من اليد السفلى .

وهذا يعطى ملمحاً طيباً للداعية أن يترفع عن الدنايا ، ويتورع عن الشبهات . فالبعض قد يتخيل أن فقه الواقع ، وعدم وجود المجتمع المسلم ، قد يشفع له استحلال مال الغير ، وقد يجهل البعض هذه التربية السلوكية المهمة ، فتنسحب المرونة الدعوية ، التى يتقن فنها ، إلى مرونة غريبة وخطيرة فى التعامل والحذر من الشبهات ، ويتجاهل (**فقه المحقرات**) وآثارها التراكمية المهلكة : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن علي الرجل حتي يهلكنه ، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا ، كمثل القوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالبعرة ، حتي جمعوا سواداً وأججوا**

النار ، وأنضجوا ما قذفوا فيها [1] فيترتب على ذلك ، سقوطاً فى حبائل (سلسلة الذنوب) وحلقاتها المتتابعة التى تبدأ بذنب يؤدى إلى تغطية القلب بالران ، والذى ينتج حجاباً مهلكاً ، والعياذ بالله : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⟨١٤⟩ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[2] .

الركيزة الثالثة عشرة : أهمية الشعور بالمسؤولية الفردية :

وهى الركيزة التى من شأنها أن تؤدى إلى تنمية الفاعلية الفردية .

فالحركة الجماعية نحو الأهداف الربانية لا تلغى التبعة الفردية ، وذلك من باب : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[3] .

وتدبر هذا الألم الذى شعر به (الحارث) ، وهو يراجع نفسه من باب الشعور بالمسؤولية الفردية ، فى الحديث الذى أوردناه فى الركيزة التاسعة ، عندما قال : أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد .

وتأمل مغزى تلك النصيحة التربوية : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم

---

(1) رواه البخاري : كتاب الرقائق باب 32 ـ أحمد 1/ 402 وابن ماجه : كتاب الزهد باب 29 ـ الدارمي : كتاب الرقائق باب 17 .

(2) المطففين : 14 ـ 15 .

(3) المدثر : 38 .

بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾[1] لقد اتفق هؤلاء الصحب المؤمن على إرسال أحدهم ليحضر لهم الطعام ، ورسموا له خطة التحرك وأفهموه إنه لو كشف أمره ، فسيلحقهم جميعاً ، عاقبة ذلك الخطأ .

أى أن الخطأ الفردى سيلحق الضرر بالمجموع .

وهو باب عظيم فى التربية ، يعمق مفهوم المسؤولية الفردية فالفرد فى المجتمع المسلم منوط به ، التغيير الحضارى لأمته ، بشرط أن يكون متوافقاً مع المجموع : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2] .

وعلى هذا يجب التركيز على فاعلية الفرد ، ودوره الإيجابى ومسؤوليته فى تحقيق الأهداف والغايات العظام ، وفى حماية نفسه ، وحماية المجموع ، وأنه دوماً على ثغرة فلا يجب أن يؤتى الإسلام من قبله .

---

(1) الكهف : 19 ـ 20 .
(2) الرعد : 11 .

الركيزة الرابعة عشرة : أهمية فقه توفير الجهود :

وهو ما يعرف بفقه تحديد الأولويات .

فإذا كانت الركيزة الأولى تركز على أهمية تحديد القضية المرحلية الواحدة .

فإن من وسائل تحقيق هذا الهدف ، أن يكون السبيل إلى ذلك ، على مراحل على أساس فقه الواقع وأولويات الوقت .

وتأمل ما ورد فى التجربة التغييرية الحضارية التى قام بها الصحب المؤمن ، أصحاب الكهف ، وذلك من خلال ما نلمحه من الحوار والتساؤل الذى تم : ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[1] فالقضية الآن ليست الخلاف على مقدار مدة تلك الرقدة التى قضوها ، فهذا الأمر مفضول وهناك أفضل منه ، لذا . . . كان توجيه أحدهم لهم بأن يهتموا بأولوية الترتيب والانشغال بقضية الوقت والتفكير فى الأهم على المهم ، ألا وهو البحث عن طعام

---

(1) الكهف : 19 ـ 20 .

للجائعين ، واختيار من يصلح لهذه المهمة الصعبة ، وإلا فإن أى خطأ للرسول سيعرضهم للخطر .

وكم من ساعات بل شهور ، وإن شئت قلت سنين عدة تمر من عمر الدعوة ، ودعاتها يراوحون حول المفضول متعامين عن الأفضل ، ويتناحرون على المرجوح تاركين الأرجح .

وما هذا إلا خلل فى ترتيب أولويات كل مرحلة ! .

وفقه تحديد الأولويات وترتيبها ، من شأنه أن يحدد المهام ، وأن يحدد الوظائف . وهو فقه توفير الجهود والأوقات .

الركيزة الخامسة عشرة : أهمية فقه الواقع

وهى الركيزة التى من شأنها أن تؤدى إلى نوع من التوازن بين الأصالة والمعاصرة .

بين المحافظات على الثوابت ، والابتكار والتجديد فى الوسائل والأخذ بالمتغيرات المرحلية ، على أساس من فقه للواقع

وتدبر ما ورد فى تجربة (أصحاب الكهف) عندما أرسلوا صاحبهم ، لإحضار الطعام لهم ، وكان يدور فى خلده أنه ما غاب عن المدينة إلا يوما واحداً . ولم يمنعه ذلك التغيير الذى طرأ على الزمان ، والمكان والبشر ، ولم يلاحظه ، ومن ثم فقد عمد بنقوده الفضية إلى رجل ممن يبيعون الطعام ، فقلبها الرجل

واستغربها ، وظن أن صاحبه قد عثر على كنز أثرى قديم ، ونشر هذا الخبر بين جيرانه حتى وصل الخبر إلى الملك ، وانكشف السر! .

وهذا ملمح طيب يبرز لنا أهمية فقه الواقع ، ومعرفة واقع الحركة الخارجى ، أو البعد الخارجى للدعوة ، ويبين لنا أهمية مواجهة الواقع بأسلحته الحديثة ، لا بأساليب بالية ، قد يتهم من يحملها - وهو المخطىء - بالرجعية والتخلف ، والظلامية ، وأنه آت من الكهوف .

وكذلك بالاهتمام بمعاصرة خطاب الدعوة الإعلامى .

كل هذا من خلال المحافظة على ثوابت المنهج ، والموازنة والترجيح بين متغيراته .

والتوازن بين الأهداف ، والمرونة فى الأساليب والوسائل .

وهو توازن الجمع بين الثبات على الأصول والمحافظة على أصالة الفكرة ومعاصرة عرضها .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.


الفهرس

الفهرس

الفهرس

مطابع الصقر
ت: ٠١٥/٤١٢٥٥٥ تلفاكس: ٠١٥/٤١٢٧٧٧